

# محمد إلهامي | عصر الخلافة الراشدة | 7. الميزان الأخلاقي للحضارة الإسلامية

محمد إلهامي

اه صرنا على موج البحار بحارا. بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا وانت تجعل الحزن اذا شئت سهلا - 00:00:00

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما لماذا يفضل المسلمون علي بن ابي طالب رضي الله عنه على معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه لماذا لا يحب المسلمون الحجاج بن يوسف الثقفي - 00:00:16

لماذا كلما ذكرت سيرة السلطان سليمان القانوني مثلا؟ قال لك احدهم ولكنه قتل ابنه الامير مصطفى ظلما لماذا لا يندم المسلمون على انهم لم يبيدوا اليهود والنصارى الذين كانوا في بلادهم في الوقت الذي كانت لهم فيه القوة والسيادة - 00:00:32  
الاجابة على هذه الاسئلة هي موضوع حلقتنا اليوم عن الميزان الاخلاقي للحضارة الاسلامية بداية لماذا نرفض العلمانية احد اسباب رفض العلمانية ان العلمانية بلا اخلاق لابد للاخلاق من مرجعية دينية. اما العلمانية فحيث لا اله حيث مرجعيتها هي المصلحة والمنفعة تحقيق - 00:00:51

المكاسب وتوسيع النفوذ. فساعة اذ لا يعود مفهوما ان يكون لها اخلاق. ما الذي يدعو انسانا للصدق اذا كان الكذب هو الذي سيحقق له ارباحا طائلة. ما الذي يدعو ما الذي يدعو الانسان الى الشفقة على الضعفاء والمعدومين والفقراء اذا كان طريقه الى الشهرة او الى السطوة او الى النفوذ او الى السلطة. يستلزم ان يقتل هؤلاء او ان يقصر عليهم. الاخلاق في المرجعية العلمانية هي شيء مزعج شيء لا ضرورة له. المساواة بين الناس مثلا ما الذي يجعلنا نعتقد ان الناس كلهم على مرتبة واحدة - 00:01:36  
ولهم نفس الحقوق ولهم نفس المشاعر ولهم نفس التطلعات والاشواق. المساواة ليست حقيقة علمية. الواقع ان المساواة هي قيمة دينية وليست حقيقة علمية ولذلك لا يمكن ابدان ان تسبب في ظل المرجعية العلمانية - 00:01:56

يقول الرئيس المسلم المجاهد علي عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة في كتابه الرائع الاسلام بين الشرق والغرب ان المساواة والاخاء بين الناس ممكن فقط اذا كان الانسان مخلوقا لله فالمساواة الانسانية خصوصية اخلاقية وليست حقيقة مادية - 00:02:16  
ان وجودها قائم باعتبارها صفة اخلاقية للانسان كسمو انساني او كقيمة مساوية للشخصية الانسانية وفي مقابل ذلك اذا نظرنا الى الناس من الناحية المادية فالناس غير متساوين فطالما حذفنا المدخل الديني من حسابنا سرعان ما يمتلئ المكان باشكال من اللا مساواة عرقيا وقوميا واجتماعيا - 00:02:37

وسياسيا ان السمو الانساني لم يكن من المستطاع اكتشافه بواسطة علم الاحياء او علم النفس او باي علم اخر. اذا عرفنا من هذا ان المساواة مثلا ليست حقيقة علمية وانما هي موقف اخلاقي. وهكذا كل الاخلاق. الاخلاق لا - 00:03:05  
تعبر عن حقيقة علمية وانما تعبر عن انحياز ديني. فحيث لم يكن للفكرة مرجعية دينية لم يكن للاخلاق اي قيمة اي قيمة تستند عليها. لذلك نعرف ان اية واحدة او حديثا واحدا. يا ايها الناس انا خلقناكم - 00:03:27

ومن ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم. اية واحدة او حديث واحد في مجال الاخلاق هو افضل واكثر تأثيرا من كل نصوص حقوق الانسان والاتفاقيات والمعاهدات التي لا تساوي الحبر الذي كتبت به والتي عامة لا يلتزم بها -

00:03:47

حتى واضعوها لان نصوص هذه الاتفاقيات ليس لها القداسة التي للنص الديني اما الاسلام فشرعية الاسلام شريعة اخلاقية. الواقع مما يلفت النظر في ابحاث المستشرقين الذين يتكلمون في الشريعة الاسلامية خصوصا لو كانوا من القانونيين هو انتباههم لهذا المعنى ان الشريعة - 00:04:07

الاسلامية مختلطة بالاخلاق. ولذلك يكثر في كلامهم آآ لفت النظر الى هذا المعنى ان الاخلاق ترسم حدود للشريعة الاسلامية. فمسلا جاك ريسلر وهو مستشرق وقانوني فرنسي ان القرآن يجد الحلول لجميع القضايا - 00:04:37 ويربط بين القانون الديني والقانون الاخلاقي ويسعى الى خلق النظام والوحدة الاجتماعية والى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات انه يسعى الى الاخذ بيد المستضعفين ويوصي بالبر ويأمر بالرحمة ونفس هذا المعنى يكرره مؤرخ الحضارة ويل ديورانت في كتابه قصة الحضارة. حينما يتحدث عن ارتباط الاخلاق - 00:04:58 والقانون في الشريعة الاسلامية فيقول القانون والاخلاق في القرآن شيء واحد فالسلوك الديني في كليهما يشمل ايضا السلوك الدنيوي وكل امر فيهما موحى به من الله والقرآن يشمل قواعد للاداب وصحة الجسم والزواج والطلاق. ومعاملة الابناء والعبيد والحيوان والتجارة والسياسة - 00:05:26

والجريمة والعقاب والحرب والسلم. آآ يعني التفرع وبناء الفقه. هؤلاء العلماء في حضارتنا الاسلامية كانوا دائما جزءا من الامة ما هو لم يكونوا جزءا من السلطة. فنصوص القرآن ونصوص السنة هي نصوص معصومة. لم يكتبها سلطان. ولم يفسرها جهة مرتبطة - 00:05:51

طب السلطة فلذلك نشأ لدى الفقيه المسلم حس اخلاقي مرهف ينتشر في عموم الفقه. احد الابحاث الممتازة التي كتبت في هذه كتبها المستشرق الايطالي ديفيد دي سانتلانا. حيث يتحدث عن الاثر الاخلاقي في الشريعة الاسلامية فيقول ولكن - 00:06:11 اذا كان حق المرء هو منفعته الخاصة وواجبه الادبي معا فان لذلك الحق حدودا معينة بموجب مبادئ الاخلاق والمصلحة العامة فالصلح والتراضي هما سيد الاحكام في كل وقت واخذ الثأر ممنوع منعاً باتاً - 00:06:31 والتضييق البدني على المدين مخالف للقانون ولا اعتساف في استعمال الحق تماما اذ ليس لاحد ان يمارس حقا له بالدرجة التي يسبب للآخر ضررا محققا وللفقهاء المسلمين في هذا الصدد احساس دقيق مرهف يفوق ما نتصوره - 00:06:49 فمثلا يمنع ان يحول حق الادعاء الى وكيل هو عدو للطرف الذي اقيمت عليه الدعوة وممنوع ان يؤجر حيوان لشخص عرف بقسوته على الحيوان وهكذا ترسم الاخلاق والاداب في كل مسألة حدود القانون. وهكذا يبدو واضحا ان الشريعة الاسلامية شريعة مرتبطة بالاخلاق - 00:07:11

وتمسل الاخلاق جزءا لا يمكن ان ينفصل عن روحها وعن كيائها وعن جوهرها. وهذه الصبغة الاخلاقية هي التي رسمت حدود واحكام الشريعة الاسلامية. الخلافة الراشدة كانت هي التطبيق العملي للاسلام. ولذلك - 00:07:35 اسبت الخلفاء الراشدون انه يمكن ادارة دولة بسياسة ملتزمة بالاخلاق. هذه الدولة هي دولة واسعة امبراطورية تكثر فيها الديان والاعراق واللغات والاجناس والاقوام والتفصيلات القبلية ومع ذلك استطاع الخلفاء الراشدون ادارة هذه الدولة التي كانت تمثل ثلث العالم بسياسة لم آآ لم تنتهك الاخلاق - 00:07:55

لم تتجاوز الاخلاق. الامر الثاني ان الشريعة الاسلامية في عصر الخلافة الراشدة استطاع الخلفاء الراشدون ادارة اخلاقية منضبطة في كافة مراحل الدولة. في مرحلة النشوء والتأسيس والصعوبات الاولى. في مرحلة القوة - 00:08:25 التمكن والتوسع في مرحلة الرخاء والرفاهية وفي مرحلة الحروب الداخلية والفتن الخارجية ايضا في كل هذه المراحل التي يمر بالدولة وهذه التقلبات لم يجد خليفة من الخلفاء مسوغا لان ينتهك الاسلام او ان يتجاوز الاخلاق. وانما ادار شأن - 00:08:45 الامة وادار شأن السياسة بسياسة تلتزم بالاخلاق وتنضبط به. وهذا في حد ذاته هو ضرب انطق ومبدأ السياسة المعاصرة. منطق ومبدأ السياسة المعاصرة يقوم على تحقيق الغايات ايا ما كانت الوسائل. وهو ما نراه جميعا - 00:09:05 في حياتنا الان والكذب والمناورة والمخادعة هي من صفات السياسي وكلما تمكن احدهم من ان يصوغ الباطل في شكل جيد كانت

فرصته في ان يتعين متحدثا رسميا فرصة اكبر. وكلما استطاع احدهم ان يخادع ويناور. كان مكانه في آآ اجهزة - 00:09:25

واروقة السلطة مكانا محفوظا. ادارة الخلفاء الراشدين للدولة الاسلامية على هذا الاتساع وبهذا التنوع وعلى طول الزمن في كافة

مراحل تأسيس الدولة انما هو دليل على ان السياسة الملتزمة بالاخلاق تستطيع بناء دولة عظمى - 00:09:45

تستطيع بناء دولة اخلاقية لا تنتهك فيها الاخلاق ولا تمس منها قيد شعرة. ورؤوسنا يا ربه فوق اكفنا نرجو ثوابك مغنم وجواها ارى

كنا نرى الاصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها - 00:10:05

الكفار بناء على نموذج الخلافة الراشدة كون المسلمون تصورهم للسياسة والتاريخ والحرب والسلم وادارة العلاقات والعلاقة بين السلطة والرعية لذلك هذا هذه المرجعية التي مثلتها عصر الخلافة الراشدة صارت هي الحاكمة على كل العصور فيما بعد. وبالتالي لم

يكن عند - 00:10:35

المسلمين هذا الميزان السياسي المادي فقط في تقييم الحكام ولا في تقييم عصورهم. مثلا اي مقارنة ما الدية بوجهة النظر العلمانية

البحثة ستفضل سيدنا معاوية على سيدنا علي رضي الله عنه. يعني ايه سيدنا علي؟ بالمقياس المادي - 00:11:02

العلماني فقط حكم اربع سنوات اربع سنوات لم يمثل فيها زعامة لانصاره خرج منهم الخوارج وآآ خرج منهم الشيعة وغتيل على يد

الخوارج ولم يستطع ان يوحد الدولة الاسلامية كلها آآ تحت لوائه. بينما معاوية مثلا حكم - 00:11:22

آآ عشرين سنة فيما بعد فترة الملك وآآ مثل زعامة واحدة لانصاره واجتمعت تحته الامة وانجز انجازات سياسية كان عصره آآ عصر

فتوح لكن هذا الذي تسوق اليه القراءة المادية العلمانية التي تنظر الى المنجزات والمكتسبات السياسية - 00:11:42

لم يعتنقه احد من المسلمين عبر تاريخهم. وانما ظل المسلمون يفضلون عليا رضي الله عنه على معاوية. ويرون ان معاوية وفئته هي

الفئة الباغية. لماذا؟ لان هذا هو نص من حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما قال - 00:12:02

عن سيدنا عمار ابن ياسر تقتله الفئة الباغية. وكان سيدنا عمار في جانب علي وقتل في معركة صفين. فهنا حدد نص النبوي النص

نص الوحي حدد قيء حدد الطرف الذي ينحاز اليه المسلمون ويعني - 00:12:22

احي بهم وعدل بهم عن النظرة المادية البحتة لقراءة التاريخ. ثم ان سيدنا علي بن ابي طالب داخل في فترة الخلافة الراشدة فهو

خليفة راشد ممن آآ قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وفي الحديث

الآخر الخلافة بعدي - 00:12:42

ثلاثون سنة بينما كان معاوية اول ملوك الاسلام واول فترة الملك العضود. القصد ان المسلمين يفضلون عليا رضي الله عنه على

معاوية بالخلاف للمقياس المادي العلماني وليس ذلك الا لوجود هذا الميزان الاخلاقي الذي - 00:13:02

تكون من النصوص الدينية وتكون من سيرة الخلفاء الراشدين. نفس المثل يمكن ان نتكلم فيه ايضا عن عبد الملك ابن مروان

وعبد الله ابن الزبير. عبدالله ابن الزبير صحابي. ظل خليفة لمدة تسعة اعوام واتخذ من مكة عاصمة له - 00:13:22

يعني تكاد تكون الامة كلها انضوت تحته الا قطعة في الشام آآ يعني اخذها الامويون بقيادة مروان ابن الحكم ثم عبد الملك ابن ومع

ذلك زلت هذه القطعة من الشام تتوسع وتمتد وتقتطع البلاد من عبد الله بن الزبير حتى انتصر عبد الملك ابن - 00:13:42

مروان على عبدالله بن الزبير يعني دانت له الامة فيما بعد. الرؤية المادية وحدها تنحاز مباشرة الى عبد الملك ابن مروان. اما الرؤية

الاسلامية فلا تزال تتعاطف مع عبد الله ابن الزبير. وتفضله على عبد الملك بن مروان. وترن عبد الملك بن مروان هو - 00:14:02

والملوك التغلب وهذا التغلب هو وضع اضطراري لجأت اليه الامة الاسلامية حين لم آآ لم يكن بالامكان الا وجود من يتغلب على الامة

لكن يقيم الشريعة ويقيم الحدود طبعاً. الواقع انه احيانا آآ وعلى غير - 00:14:22

بما هو معهود من سيرة التاريخ وسيرة المؤرخين وسيرة الفلاسفة والمفكرين. العلماء المسلمون والمؤرخون المسلمون تكون لديهم

قسوة على كثير من الشخصيات التاريخية التي لو ظهرت في سياق اخر سياق غربي مثلا لكانوا من ابطال التاريخ الكبار. يعني

عبد الملك ابن مروان هشام ابن - 00:14:42

عبد الملك ابو جعفر المنصور سليمان القانوني سلطان سليم بيبرس سيف الدين قلاوون. يعني طائفة كبيرة من الابطال التاريخيين لو

كانوا في غير الامة الاسلامية لكانوا ابطالا لا يشق له غبار ولا يتحدث في شأن اخطائهم. بينما القيمة الاسلامية - [00:15:02](#)

او الوجدان الاسلامي والمؤرخين المسلمين يتحدثون عن اخطائهم ولا يرون فيهم قدوة يقتدى بها وانما يقصرون القدوة على الخلفاء الراشدين. واحيانا يبلغ هذا من يعني احيانا تكون هذه الحساسية الاخلاقية مبالغ فيها كذلك. بل - [00:15:22](#)

قل الواقع انه الحجاج بن يوسف الثقفي او يزيد بن معاوية او غيرهم ممن يقسو عليهم التاريخ الاسلامي هؤلاء لو ظهوروا في سياق غير السياق الاسلامي لما حوكموا الا بالانجاز المادي ولساروا عندئذ من ابطاله وغالب - [00:15:42](#)

ما يكون عند ابطال التواريخ الاخرى يكون لديهم من الفضائح والمذابح ما اضعاف اضعاف ما اه اقترفه الحجاج بيوسف الثقفي او يزيد بن معاوية او غيره ومع ذلك لا يزالون في تواريخهم يقدمون كابطال. الاخلاق هي التي - [00:16:02](#)

ترسم وجدان المسلمين في تقييمهم لتاريخهم وللشخصيات التاريخية التي كانت في ابطالهم الخلفاء الراشدون حين اسسوا هذه الدولة التي تنضبط بالاخلاق صدر عن شعوبهم ورعيته أمور لم تصدر ابدا في سيرة امبراطورية استعمارية مع شعب مغلوب. يعني ان يتحرك رجل من الاقباط في مصر - [00:16:22](#)

الى المدينة المنورة ليشكو عمرو بن العاص والي مصر وفاتها والصحابي يشكو ابنه لانه طبقه سم يتكلف ان يخرج من مصر الى ان يصل المدينة ويشكو الى عمر ابن الخطاب وهو هو نفسه هذا القبطي كان قبل سنة - [00:16:52](#)

اثنتين او ثلاث يتعرض للمذابح والمجازر والاضطهاد الروماني. ولم يكن يفكر او يجرو في ان يقدم شكوى في من ظلمه من الرومان اسس المسلمون هذه الدولة التي رأى فيها هذا القبطي انه ان تكلف سفرا من - [00:17:12](#)

مصر الى المدينة المنورة سيجد العدل وقد كان. فيما بعد ذلك قدم اهل سمرقند مثلا شكاية للقاضي الاسلامي الموجود في دمشق يشكونه يشكون الجيش المسلم الذي دخل اليهم فاتحا دون ان يلتزم بنهج الفتوحات الاسلامية. تكلفوا السفر من ثمرقن - [00:17:32](#)

في اسيا الوسطى الى دمشق لكي يشكو الجيش الفاتح سم يجدون العدل فيأمر القضاء الموجود في في دمشق بان يخرج الجيش من المدينة مرة اخرى. ويتخلى عن ما كسبه من انتصار وما حسمه من موقف - [00:17:52](#)

ويعود ليلتزم عليهم قانون الفتوح الاسلامي وشريعة الاسلام في فتوحه وقد كانت آآ وقد كان وهذا ما التزم به المسلمون وهي قصص لا تعرف في سيرة اي امبراطورية في التاريخ. يقول جوستاف لوبون المستشرق الفرنسي المشهور ان - [00:18:12](#)

محمدا اعطى دروسا في الاخلاق والمدنية لكن هذه الدروس لا تزال حتى اليوم لا تنسى. المؤرخ الكبير دكتور حسين مؤنس له كتاب اسمه الاسلام الفاتح يتحدث فيه عن انه حسب مساحة الاراضي التي فتحها المسلمون بمقارنة بمساحة - [00:18:32](#)

الاراضي التي دخلها الاسلام بغير فتح. فوجد ان المساحة التي دخلها الاسلام بغير فتح تساوي ثلثي مساحة العالم الاسلامي. اي ان المسلمون لم يفتحوا الا الثلث فقط من مساحة هذا العالم. وما كان ذلك ليكون الا لان هذا النموذج الاخلاقي الجذاب - [00:18:52](#)

الذي قدمه المسلمون هو ما جعل الناس يدخلون في دين الله افواجا. اسأل الله تبارك وتعالى ان يعلمنا ما ينفعنا وان ينفعنا بما علمنا وان يزيدنا علما. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كنا جبالا في الجبال - [00:19:12](#)

ربما سرنا على موج البحار بحارا. بمعابد الافرنج كان اذاننا قبل الكتائب يفتح الامصار لم تنسى افريقيا ولا صحراؤها سجدتنا الارض تنقضي ضيفنا. وكأن ظل السيف ظل حديقة خضراء بتحولنا الازهار لم نخشى - [00:19:32](#)

حاربنا ولو نصب المنيا حولنا اسواق ندعو جهارا لا اله سوى الذي صنع الوجود وقدرنا ورؤوسنا يا رب فوق اكفنا نرجو وثوابك مغنا مواج كنا نرى الاصنام من ذهب نهدمها ونهدم فوقها الكفار - [00:20:22](#)